١٧ عاما من الوحدة الألمانية

هاهو الزمن يمر سريعا.. وهاهى ألمانيا تحتفل اليوم بمرور ١٧ عاما على عودة وحدتها بعد جهود طويلة ومضنية، فسنظل نذكر دوما تلك الصور لشباب ألمانى من الشرق والغرب وهم يقتلعون بوابة براندنبرج ويرقصون فرحا بينما يشرع آخرون فى هدم تلك الأسوار. بل أن الكثيرين يحتفظون ببعض من حجارتها كتذكار لهذه المناسبة التاريخية التى لا تنسى. وبالنسبة لألمانيا الشرقية فقد كان ذلك إيذانا ببدء عملية إزالة الحواجز عن كل الطرق التى تربط «جمهورية ألمانيا الديمقراطية» بألمانيا الغربية بل وبجميع الدول المجاورة وكل قارة أوروبا وبالتالى باقى أجزاء العالم بل وقبل ذلك وبعد ذلك إزالة الحواجز النفسية التى ترسبت عبر خمسة عقود تغيرت وتباعدت خلالها مفاهيم كثيرة.

هناك مقولة يرددها الألمان من أن الوحدة الألمانية بدأت بخطوات راقصة إلا أن هذه الخطوات تباطأت لتصبح أكثر تثاقلا.. فبعد زوال الفرحة الغامرة بدأت ألمانيا الموحدة تواجه الموقف الصعب الذى يحتم عبور الفجوة الواسعة التى باعدت بين الألمانيتين وأدت الى تقسيمهما. وهى فجوة انعكست علي الجدال الصعب الذى صاحب التفاوض حول الوحدة.. إلا أن السفينة ظلت طافية لتواصل رحلتها فى نجاح لتطور الاستقرار الهادىء الى البناء الهادف.

وبطبيعة الحال لم يكن طريق الوحدة مفروشا بالورود، إذ أن الوحدة جاءت بعد خمسين عاما عاش خلالها الشعب الألمانى تحت نظامين سياسين مختلفين بل ومتعارضين وحين بدأت الوحدة كانت ألمانيا الشرقية يرثى لأوضاعها سواء من الناحية الاقتصادية أو الصناعية أو البيئية، وقد ركزت حكومة ألمانيا على إصلاح مافسد فى الشرق وذلك بتضحيات مالية جسيمة وميزانيات ضخمة تعدت فى جانب منها الكثير من التوقعات، إذ زاد ما انفق على الإعمار الاقتصادى والاجتماعى مليارات الماركات الألمانية عما كان مخطط لها، والأمر ليس بخاف أنه فى الوقت ذاته كانت هناك اهتمامات وهموم تواجه هذا العمل وخاصة فى الجانب الغربى من المانيا، إلا أنه مع مرور الوقت فان أصوات الانتقادات بدأت تخفت لتستمر عملية بناء ألمانيا الدولة الموحدة بنجاح بفضل قناعة وانضباط الشعب الألمانى فى الشرق والغرب ومثابرته علي تحقيق الهدف الاسمى.

وفى هذا المجال فإننا نذكر ما قاله الرئيس الألمانى فى الاحتفال الأول بذكرى الوحدة من أن الوحدة ما كان يمكن أن تتحقق فى نهاية الأمر إلا من خلال «تقاربنا من بعضنا البعض».

ولا يسعنا فى هذا الصدد إلا أن نبدى التقدير بل الإعجاب بهذه التجربة الألمانية التى يندر ان تتكرر: فنحن أمام شعب عاش لحوالى نصف قرن تحت ظروف سياسية واقتصادية مختلفة تماما..

ففى الشرق اعتمد الشعب كلية علي حكومته فى سائر مجالات الحياة: التعليم والصحة والعمل وحتى الأمور الترفيهية.. وكان ذلك من مظاهر الحكم الشمولى. أما فى الغرب فقد مارس الشعب نمطا مختلفا للحياة: اقتصاد يعتمد على حرية السوق، وسباق صعب فى سوق العمل، وحكم ديمقراطى استحق أن يوصف بشعار «صنع فى المانيا»..!!

دكتور مهندس

نادر رياض

واليوم فان ألمانيا «الواحدة» ينظر إليها على أنها واحدة من أكثر الديمقراطيات استقرارا فى العالم، حيث يتميز دستورها بالاهتمام عالى الشأن لحقوق الإنسان والرفاهية الواسعة النطاق للشعب كل فرد حسب امكانياته وتوجهه، ذلك بالإضافة الى أن النظام الألمانى يسمح بقيام مجتمع متعدد الثقافات: فيوجد فى المانيا ٣ ملايين مسلم الى جانب ملايين أخرى من الأفارقة وأولئك المنتمين الى اصول من دول أمريكا اللاتينية.

وفى إطار مثل هذا الدستور فإننا نشهد اليوم جهودا مكثفة للقضاء على الاختلافات الثقافية فى ألمانيا شرقا وغربا، خاصة وان الألمانيتين تنتميان فى نهاية الأمر الى ذات الأصل من خلال وحدة اللغة والتاريخ والفن والأدب. فنجد أن كلا الطرفين يتفاخرا بامتلاكه لرموز عملاقة مثل جوته وشيلر وهاين وباخ.. والآن وقد تلاقت الأصول مع الفروع فى ألمانيا الموحدة فإنها - ولا شك - سوف تلعب دورا هاما فى حل بعض المشكلات التى لازالت قائمة حاليا والتى تعترض عملية الدمج الثقافى. وقد تضمنت معاهدة الوحدة بندا يعبر عن أن هناك قناعة بان الثقافة والأدب سيلعبان دورا جوهريا لاغنى عنه فى عملية الوحدة.

أما عن تاريخ العلاقة بين مصر وألمانيا والتى تميزت عبرالعصور على امتداد سنوات الرخاء والكساد منذ أصبحت ألمانيا دولة موحدة ومستقلة لها ريادتها الاقتصادية فانه على توالى تغير ساستها وحكوماتها فان تلك العلاقة لم تزداد إلا قوة وترسخا بدعم وقناعة شعبية لكل من الجانبين. ونحن نشارك اليوم ألمانيا الموحدة والدولة الصديقة احتفالاتها القومية الغامرة نتمنى للدولة العظيمة التى ستظل ذكرى تجربتها لسنوات طويلة قادمة وللشعب الألمانى الصديق كل تقدم وازدهار.

كاتب المقال

رجل صناعة

رئيس مجلس الأعمال المصرى الألمانى

رئيس لجنة البحوث والتطوير ونقل التكنولوجيا باتحاد الصناعات المصرية

www. naderriad.com